مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود الباطين للإبداع الشعري

Tolerancija i Harmonija u Bosni dokumenti i ilustracije

na bosanskom,arapskom i engleskom jeziku

Prof.Dr. Enes Karic
Ambasador Edhem Pasic

prevod
Zlatan Hadjic
Jasmina Gluhić

مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري

التسامح والانسجام في البوسنة
(وثائق وصور)
باللغات العربية والإنجليزية والبوسنوية

د. أنس كاريتش

السفير أدهم باشيتش

ترجمة

زلاتان حاجيتش

ياسمينة غلوهيتش

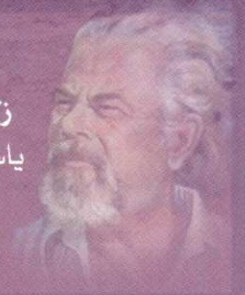

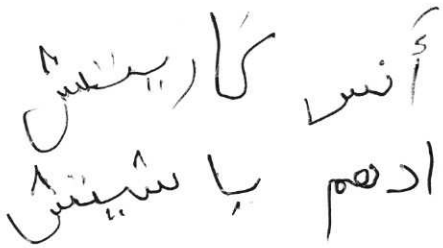

أنس كاريتش
ادهم باشيتش

البوسنة والهرسك
انسجام وتآلف الثقافات المتعددة عبر القرون

البوسنة والهرسك وأهمية المناطق ذات التعدد الديني

كلما تحدثنا عن المسيحية والإسلام سواء أكان ذلك الحديث في البوسنة أم أوروبا أم العالم بأسره، وخاصة إذا كان الحديث عن النظرة الإسلامية في العلاقة بينهما فلا مفر من الاعتراف بأن الموضوع سيكون صعبًا، وكأننا في سفوح الجبال العملاقة التي تختفي وتتلاشى قممها في الغيوم والسحب تارة، وفي زرقة السماء العالية تارة أخرى.

ثم ما هو الإسلام اليوم إن لم يكن هو ما يفعله المسلمون في هذا العصر؟! وما هي المسيحية اليوم إن لم تكن هي ما يقوم به المسيحيون فيه أيضًا؟! ومن يستطيع أن يحيط بنظره إلى كل أعمالهم اليوم ومن ثم أن يتكهن ويتنبأ بنتائج وعواقب متوقعة لتلك الأعمال؟ ولكن هناك مجموعة حقائق تشجعنا على الحديث حول هذا الموضوع في البوسنة. ومن أهم تلك الحقائق حقيقة مدينة سراييفو والتي كثيرًا ما نجد فيها فرصة لمناقشة موضوع العلاقة بين الإسلام والمسيحية.

إن سراييفو مدينة كتب في تاريخها الديني المتنوع كثير من المؤرخين المحليين من جميع الأديان، فكتبوا الحقائق والثوابت التاريخية بقدر ما كتبوا من المغالطات المعسولة وزور الكلام. لكن ظلت سراييفو من قديم الزمن وإلى هذه الأيام مركزًا

مهمًّا واستثنائيًّا حيث انسجمت فيها اليهودية والمسيحية والإسلام بإخلاص وتماسك الصياغة التخريمية وعلى صورتها المزركشة.

إن سراييفو مجاز مفيد أيضًا، ولنتجنب التعبير بأنه نموذج لمناقشات وحوارات مشجعة وأخرى تعيسة بين المسيحية والإسلام واليهودية. كما يمكننا الاستغناء عن التكرار بأن تاريخ سراييفو جزء لا يتجزأ من تاريخ أوروبا ولكنه أيضًا جزء من تاريخ المسلمين، ومن ذلك المنطلق فهو جزء من تاريخ الإسلام في سياقه الأوسع. التاريخ الحديث لسراييفو وعلى وجه الخصوص الأيام الصعبة لحصار المدينة خلال فترة ١٩٩٢ - ١٩٩٥ لم تكن رسول خير لأحد في سراييفو ولا سيما للمسلمين في أوروبا.

ولكن أحيانًا حينما ننظر إلى أنفسنا كمتفائلين ينظرون إلى حصار القوات الصربية المتطرفة لسراييفو على أنه التواء وخلع غير متوقع وغير مخطط له في المجرى العام للديموقراطية الأوروبية المعاصرة، فيشبَّه لنا عندئذٍ وكأنه جرف مفاجئ على الطريق يعيق السير، فسرعان ما وجد من أزاله من الرجال العاقلين والمجتهدين والمبتغين للخير وفتحوه من الجانبين. وإن لم نقدر على محو ذكرياتنا عن المدن المحاصرة، إلا أنه من الأفضل لنا ترسيخ وبناء الآمال على فكرة ومفهوم المدن المفتوحة.

لقد حاصرت قوات الدولة العثمانية «فيينا» سنة ١٦٨٣م ولكن تلك الحقيقة ينبغي أن لا تكون أساسًا لتكوين موقفنا ورأينا اليوم تجاه الجمهورية التركية المعاصرة، كما ينبغي أن لا ينظر مواطنو سراييفو اليوم إلى الجمهورية النمساوية الحديثة بمنظار الألم الذي ألحقه بمدينتهم القائد النمساوي المشهور الأمير أوغين من سافوي حيث نهب وأحرق المدينة سنة ١٦٩٧م.

يمكننا أن نتذكر التواريخ الحزينة للمدن المحاصرة وسبل أقدارها التي لا يمكن التنبؤ بها أيامًا متتالية، ولكننا نعتقد أن رثاءها والبكاء عليها إلى الأبد لن يفتح الطريق للأمل في المصالحة والتسوية. وبالإضافة إلى ذلك فإذا تطرقنا إلى الحديث عن تاريخ سراييفو ذات الأديان المتعددة فيجب علينا أن لا ننشغل بالتاريخ العام قبل كل شيء، وإن كان جيدًا من أجل السلام وأخذ العبرة أن نذكّر أنفسنا بالحرب الدموية التي شنت على البوسنة في الفترة من بداية سنة ١٩٩٢ وحتى نهاية سنة ١٩٩٥ حيث اعتقدنا قبل ذلك أنها لا يمكن أن تحدث.

وفي هذه الأيام وبعد أن باعد بيننا وبين تلك الفترة أكثر من عقد واحد بفضل السلام البوسنوي، كان كما كان (إذ دعامته الأساسية لا تزال أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية)، أصبحنا شيئا فشيئًا نميل إلى الاعتقاد بأن حرب البوسنة لم تكن حربًا دينية في الحقيقة! غير أننا من دون النظر إلى الجانب الديني لها سنعجز عن تفسيرها السليم والمتكامل.

الحقيقة الأخرى التي يجب علينا أن نأخذها في الاعتبار تتعلق بالبوسنة والهرسك، إذ نعتقد بأن كل ما قلناه عن سراييفو ينطبق على البوسنة والهرسك كلّها وكذلك عن تلاقي المسيحية واليهودية والإسلام فيها. بطبيعة الحال فإن ذلك التلاقي كثيرًا ما كان مسالمًا وعلى غرار الأمور السلمية كان مخلصًا، ولكن أحيانا أخرى تلاقي الإسلام والمسيحية واليهودية في البوسنة والهرسك كان يتحول إلى نقيض اللقاء في السعادة والهناء، بل يتخطى إلى الاستباق في غير الخير والصراع والحقد والعدوان.

من حين إلى آخر نلحظ شيئًا مشابهًا يحدث في أوروبا اليوم: استفزازات لا تبعث على الطمأنينة وهي موجهة ضد المسلمين وحملات إعلامية مشوهة

لصورتهم والتمييز السياسي، وفي نفس الوقت من جانب آخر عدم قبول بعض المجموعات المسلمة للنظام العلماني في أوروبا وما إلى ذلك.. ولكن لحسن حظ كل الناس من دون الاعتبار لتوجهاتهم السياسية أو اعتقاداتهم الدينية، فإن توجه المسالمة العام الذي تروجه أوروبا اليوم في أراضيها سريعًا ما ينسينا تلك الأعراض الطارئة.

لا ينبغي علينا كأناس مسالمين رافضين للحرب والعنف أن نلقي نظرة عمياء ونغمض أعيننا تجاه الذين يهددون السلام والتعايش والانسجام بين الناس مهما كانت الجهة التي يأتي منها التهديد.

كيف نقرأ تاريخ الأديان العالمية بنظرة مطردة؟ نفترض بأن البلقان كان جذابًا جدًّا كمنطقة أوروبية تشهد لآلاف السنين لقاءات مكثفة بين المسيحية واليهودية والإسلام. وبأخذ وضع سراييفو في الاعتبار نعتقد بأن تجربة البلقان لتعايش المنتمين إلى الأديان المختلفة أو الصراع ذي النتائج المأساوية بينهم تجربة مهمة لأوروبا اليوم، أو لأوروبا بصفتها مشروعًا ديمقراطيًّا لدولة عملاقة يُروَّج له ويتم تحديد معالمه منذ سنة ١٩٤٥م، أي من وقت نهاية الحرب العالمية الثانية وحتى الآن.

ولكن من المعلوم أيضًا بأن كثيرًا من الدوائر الأوروبية في الماضي عرّفت البلقان بأنها المنطقة التي «لما تصبح أوروبا بعد» أو أنها «برميل مليء بالبارود» أو أنها «بلاد اتجه فيها كل شيء إلى السوء» وإلخ. بل حتى في هذه الأيام كثيرًا ما تصدر مثل هذه التصريحات عن بعض الدوائر الأوروبية، ولكن لحسن الحظ فهي خفتت شيئًا فشيئًا أمام قيم دول ديمقراطية معاصرة تزداد قوة في الاتحاد الأوروبي.

هل يكمن سبب مثل تلك الأوصاف السلبية للبلقان في حقيقة تتمثل في الإسلام المحلي والأصيل في أوروبا الذي استقر بطريقته المميزة، وظهر في هذه

المنطقة على وجه الخصوص؟ هل كان، نظريًّا، سيتم نعت البلقان بهذه الأوصاف السوداء لو لم يعش المسلمون فيه، ولو لم تظهر آثارهم بهذا الجلاء في جوانب ديمغرافية وجغرافية وتاريخية وثقافية وحضارية في الماضي والحاضر؟ هذه أسئلة يجب علينا أن لا نجيب عليها الآن مباشرة، ولكن ستطاردنا الشكوك والمخاوف طيلة محاولتنا أن نعثر على الأجوبة الشافية.

كيفما كان الأمر إن ما سيحدث على الأرجح خلال القرن الحادي والعشرين في منطقة حوض البحر الأبيض المتوسط وأوروبا بصفة عامة يزيد من أهمية منطقة البلقان، إذ هي شريان أرض أوروبية والتي ستثمر بثمار طيبة في أيام السلام الأوروبي. مناظر كثير من المدن في هذه المنطقة من اسطنبول إلى زغرب تشبه مناظر دمشق وبيروت والقاهرة والقدس، حيث نجد فيها كنائس ومساجد مجتمعة ومعها معابد اليهود هنا وهناك كأنها خليل مخلص، فمثل هذه المعايير لثقافة الاشتراك والتعايش في غيرها من العالم لما تتحقق بعد، وإن لم يكن منظرو العولمة يريدون خداعنا، فمن أهداف العولمة مساعدة انتشار الأديان التقليدية في جميع جوانب العالم.

البلقان تمامًا مثل دول حوض البحر الأبيض المتوسط ليست منطقة متسمة برموز دين واحد، بل هي عبر القرون وطن الاستقرار والأصالة للثقافات الأرثوذوكسية والكاثوليكية والإسلامية وفي بعض الأقطار اليهودية. ينبغي علينا أن لا ننسى إلى جانب تجارب الحرب والصراعات المريرة أوقات السلام التي دامت في المنطقة لفترات طويلة. والمثير للاهتمام هنا تحليل ظاهرة سيادة السلام والتعاون والتسامح بين الأديان المختلفة ومنتميها خلال فترات حكمت فيها البلقان إمبراطوريات عظمى، فإن الاضطراب والصراع كان عند تضاؤل قوتها وذبولها أو في أحيان كانت معاملة تلك الامبراطوريات تتسم بتمييز لصالح الدين الذي كان دين قصرها أو تاجها أو ملكها أو سلطانها أو دين إمبراطورها وما إلى ذلك.

إن تهشم البلقان وتفرقه إلى دويلات جواب في اعتقادنا على رغبة معظم شعوب ودول المنطقة للالتحاق بالاتحاد الأوروبي حيث يرون فيه الإمبراطورية المعاصرة، وإن كانت تلك الامبراطورية لحسن حظنا أو لسوئه ليس لها تاج أو قيصر أو ملك أو إمبراطور أو سلطان. وفي جميع أرجاء البلقان يأمل الناس أن تتيح لهم سعة الاتحاد الأوروبي فرصة لتحقيق السلام وليس للمسيحيين فقط بل للمسلمين أيضًا، وكذلك فرصة لتحقيق الوضع القانوني الواضح لجميع أفراد وشعوب البلقان ولجميع الأديان ولجميع المؤمنين والملحدين على حد سواء بطبيعة الحال. ولكن رؤيتنا التفاؤلية للبلقان صالحة فقط في حالة نظرنا إلى المنطقة ونحن متمسكون بفلسفة الاطراد.

من جانب آخر إذا نظرنا إلى أديان البلقان وحوض البحر الأبيض المتوسط بقراءة تاريخها من غير الاطراد وسياق الاستمرارية، حينها لن يمنعنا شيء أن نبدأ على غرار كارهي الأجانب أن نصف بعض الأديان في البوسنة وغيرها بأنها «دخيلة» وأخرى «أصيلة» ونقول بأن بعض الثقافات فيها «أوروبية» وأخرى «غير أوروبية» وإلخ. إن البلقان وعلى غرارها كل منطقة تلاقت فيها الأديان العالمية التقليدية كاليهودية والمسيحية والإسلام لم تخسر شيئًا بل حصلت على ثراء متزايد من حيث دوامها الروحي، إذ تلك الثقافات المتصلة بطبيعة الأمور كانت تواصل سير بعضها وتخلق مجالات التبادل الثقافي والتوفيق بين المعتقدات ثم كانت تكمل بعضها بعضًا. وبالقول المجازي البحت: المنطقة التي اتسمت برمز اليهودية قبل الأمس زاد ثراء دوامها الروحي بوصول المسيحية أمس وبالإسلام اليوم. وعلى حد سواء فالناظر في البلقان وحوض البحر الأبيض المتوسط بنظرة الاطراد لن يقول أبدًا بأن اليهودية قبل الأمس قد انتهت أو أن أمس المسيحية واليوم للإسلام قد ولّت وأدبرت!

إن واجب محبي السلام ترويج تعايش الأزمنة المختلفة في مكان واحد وأمكنة مختلفة وجهات العالم المتغايرة في زمان واحد، حيث أثبت التاريخ بأن نشوء الشرق

المسيحي لم يأتِ باجتثاث الشرق اليهودي كما لم يستأصل الشرق الإسلامي الشرق اليهودي أو المسيحي. كذلك ينبغي أو يجب علينا أن نقول نفس الشيء للغرب اليهودي والمسيحي والإسلامي.

تراث الإسلام في البلقان والبوسنة ليست حقيقة متسمة بانقطاع بل باتصال ومتصلية (استمرارية) تمامًا مثل تراث المسيحية في مصر وسوريا والعراق ولبنان وإلخ، حيث تم ترسيخ ونقش تلك المتصلية في عدد كبير من القرون كما ترسخت تلك القرون العديدة في تلك المتصلية الشاملة والعجيبة.

إن الأمر الذي يدمّر بلا ريب مناطق دين ومتصليات أوروبا وحوض البحر الأبيض المتوسط الخالدة والعالم بصفة عامة، هو تمرد وعصيان على الحدود العامة وضعها الكتاب المقدس والقرآن الكريم للإنسان والبشرية. وبعض تلك الحدود: الذكر هو الذكر والأنثى هي الأنثى! الأسرة والنكاح أمران ضروريان للذرية السليمة! كل له حق الولادة الطبيعية أي حق الأب والأم! كل له حق نزاهة ذاته (لا أن تسرق وتنسخ ذاته باستنساخ)! كل له حق الموت الكريم! إلخ. وفي الدفاع المشرف عن هذه المبادئ السامية يمكن أن يتحالف المنتمون التقليديون إلى الإسلام والمسيحية إذ سيكون حلفهم هذا في صالح كل المؤمنين الآخرين بل حتى غير المؤمنين.

هل هناك من أمل وفرصة ونحن تحت سيطرة وحصار أسلحة مرعبة تمثل أكبر انقطاع للبشرية وقد تخرب وتدمّر كوكب الأرض وكأنه شيء تافه لا قيمة له، أن نضمن حق الصوت لهذه الحدود الإنجيلية والقرآنية التي منحت للإنسان؟! إننا نعتقد أن أهم أمر للإنسان في زمن الآلات الاصطناعية والثقوب الأوزونية وفي عصر تمرد الطبيعة نفسها على أعمال الإنسان الناتجة عن الثورة الصناعية أن يبدأ ذلك الإنسان الاعتناء بهذا النوع من الانقطاعات الخطيرة.

كمين التاريخ للحوار الديني

لن ننشغل بالماضي في هذه المناسبة ولا بحقب زمنية بعيدة وبائدة حيث الجميع: (اليهود والمسيحيون والمسلمون) يمكنهم أن يجدوا ويثبتوا بأدلة صحيحة قرونهم الصالحة والطالحة وأوجههم الحسنة والقبيحة. من دائمًا يعيش في الماضي يتعرض لخطر أن يعامل ماضيه على أنه زمن أمجاد، ومثل ذلك لا يدرك ولا يعي أنه نظم وتصور علاقته بالماضي إلى الوراء أي نحو زمن مضى وانتهى. القراءة الانتقائية للتاريخ كمين متكرر الحدوث في الحوار بين الناس المختلفين بل هي أخطر فخ للتفاهم بين الأديان المختلفة ومنتميها في العصر الراهن وخصوصًا في أوروبا والغرب، إذ كلاهما نبض الحياة والقوة العسكرية والاقتصادية والثقافية والحضارية الرائدة في العالم اليوم. بسبب قوتهما الدنيوية هذه فإن المسؤولية العظمى للسلام العالمي اليوم تقع على عاتقي أوروبا والغرب.

من الخطير جدًّا في عصر العولمة الذي يقال عنه أنه يفتح جميع جهات العالم على جميع الناس وجميع الأديان استدعاء التاريخ والحقوق التاريخية، فإن أراد الجميع أن يفتحوا أبوابهم على الآخرين فلن يحول بينهم و بين تلك النية تواريخهم الحصرية والخاصة والتي في كثير من الأحيان لم يكن تأثيرها عامًّا بل حدثت في حدود مقصورة ومحصورة؟

أما بالنسبة للجغرافيا الدينية لقارتنا الأوروبية فعلينا أن ندرك بأن المنبت والأصل للمسيحية والإسلام ليس أوروبا نفسها. إن وطنهما العريق وجذورهما في الشرق الأدنى السامي في مثلث بين البحر الأحمر والقدس ومكة. جاء كلاهما إلى أوروبا بطرق متشابهة تقريبًا: نشرتهما إمبراطوريات محلية أو أخرى غازية ونشرهما دعاتهما كما نشرتهما ثقافاتهما وحضاراتهما وفلسفاتهما، ولم لا نقول بأن ثراءهما وقوتهما وتأثيرهما الدنيوي أيضًا ساعد في نشرهما، وإلخ.

نذكر في ما يخصّ قارتنا الأوروبية بأن الامبراطورية الرومانية الشرقية ساعدت في نشر الأرثوذكسية كما ساعدت الامبراطورية العثمانية في نشر الإسلام والانتشار الديموغرافي للشعوب الأرثوذكسية والجاليات اليهودية، وفي أقرب العصور إلينا ساعدت الإمبراطورية النمساوية وبعدها الإمبراطورية النمساوية المجرية في نشر واستقرار الكاثوليكية.

لم يكن بإمكان المنتمين إلى أي دين من الأديان في أوروبا أو في أي مكان آخر في العالم سواء أكانوا يهودًا أم مسيحيين أم مسلمين أن يوسعوا من نظرهم وفهمهم للحياة الأخروية لولا نعم ووسائل هذه الحياة الدنيوية، مهما كانت زائلة ومهما كانت الأخرى أبدية وخالدة.. هناك أسباب كثيرة نذكر من أجلها هذه الحقائق ولكن سببًا واحدًا (سبب خاص): نحن مسلمون، وليس نحن فقط نشعر بقلق وهمٍّ كبيرين كلما سمعنا نداءات بأن أوروبا كدولة عملاقة يجب أن تعرف باستثناء كقارة مسيحية بحتة! الصحيح أن يقال: إن أوروبا قارة مسيحية ولكن ليس ذلك فحسب، إذ هي قارة يهودية وقارة إسلامية أيضًا! إن أوروبا قارة علمانية كذلك وإلخ. قبل قليل ذكرنا التعايش المشترك للشرق اليهودي والمسيحي والإسلامي وعلى غرار ذلك تمامًا حال الأمور في الجهة الغربية من العالم.

يجب على الجميع اليوم أن يبذلوا أقصى جهودهم في تصحيح العبارة المشهورة: «التراث اليهودي- المسيحي» إلى العبارة المتممة بإضافة شقها الثالث: «التراث اليهودي - المسيحي - الإسلامي»! هذا سبيل وحيد إلى إنصاف مستقبلنا المشترك وبهذه الطريقة فقط سنعرف حقيقة ما جرى عبر القرون في كلا الجانبين من حوض البحر الأبيض المتوسط، وبذلك لا غيره سيتحقق المستقبل السعيد لنا جميعًا.

المسيحية والإسلام اليوم - الخطر من وحدوية الهوية

يجدر بنا حينما نتحدث عن البوسنة والهرسك وعن سراييفو أن نذكر تعددية هوية الإنسان، ليس فقط في حاضرنا القريب ولكن في ماضينا أيضًا. أيضًا يجدر الكلام عن تعددية الهوية كلما تم الترويج للحوار بين الأديان وكذلك كلما أردنا الحوار بين المذاهب المختلفة داخل دين واحد.

فإن القوى التي تشجع على الحوار داخل أديانها كثيرًا ما تميل إلى الحوار بين الأديان المختلفة بشكل عام. فعلى سبيل المثال هناك أشياء كثيرة في التراث الفرانسيسكاني في البوسنة والهرسك ما يذكّرنا نحن مسلمي البوسنة بتراث الطرق الصوفية في الإسلام. وبهذا نصل إلى سؤال مهم وهو سؤال عن هوية أو هويات. تكمن أهمية إمعان النظر في ما يخص تعددية الهوية في سياق اللقاء بين المسيحية التاريخية والإسلام التاريخي والصراعات غير المرغوبة بينهما. أسوأ ما يصيب مجموعة معينة من الناس وسْمُها وحصرها وقصرها على «الهوية الواحدة». الهوية الواحدة معناها في معظم الأحيان بصم تمييزي. إنا نقول هذا من أجل الحقيقة التي تقرّ بأنه ليس من إنسان له هوية واحدة فحسب.

إن لمسلمي أوروبا، أي للمسلمين الأوروبيين كما هو حال مسيحيي الجانب الإفريقي والآسيوي من حوض البحر الأبيض المتوسط، عدد من الهويات المكملة بعضها للبعض. فكما لا يستحسن أن نصف المسيحيين في إفريقيا وآسيا فقط بكونهم «المسيحيين» كذلك، لا ينبغي أن ننظر إلى المسلمين الأوروبيين فقط بكونهم «المسلمين»! ولكن ما دمنا نتطرق إلى قضية المسلمين في أوروبا لا بد من توجيه انتقاد نسبي إلى المسلمين أنفسهم.

هناك كثير من الجماعات والمؤسسات والمنتديات المسلمة في أرجاء أوروبا التي تحدد معالم هويتها وتعريفها كمسلمة فقط. هذا ليس أمرًا سيئًا في

ذاته إذا كان يقصد به الترويج للإسلام ذي الطابع العالمي، أو إذا أريد به عرض غنى ووفرة الثقافات المحلية والوطنية وحتى القبلية المصبغة بالطابع الإسلامي وبطريقة ميسرة. ولكن كما لا يصح الادعاء بأن أوروبا معناها المسيحية فحسب حيث المسيحية بطابعها العالمي تتجاوز أوروبا فكذلك لا يصح هذا القول من أجل أوروبا المدنية والعلمانية وأوروبا المناطق والأقطار المختلفة وما إلى ذلك، فلا يصح ولا ينبغي أيضًا أن يبرز المسلمون الأوروبيون هويتهم الإسلامية فقط وأن يهملوا هوياتهم الأخرى. من الناحية السياسية هناك أوروبا الديمقراطية - المسيحية وأوروبا الليبرالية وأوروبا الاشتراكية - الديمقراطية وفي بعض الأحيان وللأسف الشديد نجد عناصر مخفية لأوروبا فاشية وإلخ. لا تكمن أهمية أوروبا الغربية بالنسبة إلى الأقلية المسلمة فقط في كونها فرصة للهجرة إليها بل هي منطقة يمكن للمسلمين فيها أن يكوِّنوا هوياتهم السياسية المحلية الأوروبية الخاصة، وكذلك هوياتهم الثقافية ونظرتهم الخاصة إلى العالم وغير ذلك. بإمكانهم أن ينمُّوا تلك الهويات وأن يتشاركوا فيها مع الأوروبيين من أديان ومذاهب أخرى.

الهويات «الإضافية» لمسلمي أوروبا ليست تنكرًا ولا محاكاة لغيرهم وهي لا تعني إدخال الهوية «الرئيسة» من باب خلفي! إن أوروبا الديمقراطية والمدنية ليست خطرًا على الهويات المسلمة ما دام المسلمون يقبلون أوروبا تلك وطنًا لهم، ودولها كدولهم وحقوقها المدنية كحقوقهم وحرياتها المدنية كحرياتهم وإلخ. هويات عدد كبير من المسلمين والمسيحيين لا تتطابق مع هوياتهم الدينية ولكنها ليست نقيضة ولا نفيًا لها. تعدد الهويات يمثل فرصة لمشاركة الناس المنتمين إلى أديان مختلفة - مثل المسيحيين والمسلمين على سبيل المثال - في أمر واحد.

ولنقل في النهاية بأن الحوار بين الإسلام والمسيحية سيكون أهم قضية عالمية في القرن الواحد والعشرين. إن هذين الدينين العالميين يمثلان مركبًا واحدًا على مستوى كوكب الأرض، إذ إن منتميهما مختلطون، بل كثيرًا ما يعيشون في مجتمعات

مشتركة. لقد تأكد بلا ريب أن القوالب للتعايش السلمي بين الناس والشعوب المختلفة والمتدينين والملحدين من جانب آخر لا يمكن أن تؤخذ من الماضي البعيد. فإن الزمن المنقضي كحليب محلوب لا يمكن إرجاعه إلى ضرع. فاليوم يجب على الجميع أن يخترعوا نماذج جديدة للتعايش ولعلّ التطور الديمقراطي الأوروبي بعد سنة ١٩٤٥ يكون مثالاً يحتذى لمجتمعات ودول الشرق الأدنى ذات الأغلبية المسلمة. من ناحية أخرى فإن أعدادًا كبيرة من البشرية تستجيب لرسائل الإسلام و المسيحية. ليس هناك بديل لله حتى في عصر التقنية، فلا بديل له في السلاح النووي الشديد ولا في عولمة إعلامية شاملة ولا في وعود عن ثروات متناهية الكثرة تأتينا باستنساخ.

بل بالإضافة إلى كل ما نقوم به يجب علينا أن نبحث عن وسائل السلام العالمي في رسالات الإسلام والمسيحية. ومن هنا يقع على عاتق دعاة ومفسري الإسلام والمسيحية واجب ثقيل وشريف، وهو أن يعرضوا رسالات دينهم الأساسية بسلام وأن يبرزوا فيها مبدأ السلام والكرامة الإنسانية.

إن التعددية الثقافية البوسنوية الأصيلة ذات طابع إنساني عميق، هي الوحيدة التي تضمن بناء البوسنة والهرسك وهي مستقرة ومتطورة وديموقراطية. لم يدافع عن البوسنة والهرسك إلا التعايش البوسنوي الشهير ذلك الذي كأنه نشيدة التسامح وهو الضامن الوحيد لحماية كرامة الإنسان والذي من دونه ما كانت فكرة الأمم المتحدة أن تظهر في الوجود. إن البوسنة والهرسك ليست سوى جسر حي يمتد عبر القرون و يربط بين العوالم المتعددة، يربط الشرق بالغرب والجنوب بالشمال.

ظلت البوسنة ظاهرة عجيبة لانتشار الحريات والأديان ولم تحدث فيها أسلمة الناس ولا تنصيرهم، وفي سنة ١٤٩٢ لم يتقبل أحد بمثل ذلك السرور والحفاوة يهود الأندلس المهجرين والمطرودين ولم يحتضنهم كما فعل شعب

البوسنة. إن عتبة بيتنا البوسنوي كانت لهم رمزًا للترحيب الإنساني الحقيقي. مثل هذا المجتمع البوسنوي متعدد الثقافات والأديان يمثل نواة أوروبا والعالم المعاصر، وعلى العالم كله أن يتقبله ويتمثل به، ليس من أجل البوسنة، ولكن من أجل بقائه المهدد.

إن غابات البوسنة الخضراء والمفتخرة بجمالها، وإن أنهارها المتدفقة والباردة لتحدثنا عن فسيفساء المجتمعات الأربعة المفعمة بالحياة والمتشابكة كصورة صياغة تخريمية ألا وهو مجتمع إسلامي وكاثوليكي وأرثوذوكسي ويهودي فإن سقف المسجد والكنيسة لا تتلاصق إلا في مدن البوسنة.

لهذا السبب كثير من العقلاء يقولون بأن البوسنة بلد أوروبي وحيد وكأنه فاض وظهر إلى الوجود من صحف الكتاب المقدس والقرآن الكريم. إن البوسنة جوهر الإنسانية كلها وعلينا أن نحميه ونحتفظ به من أجل الجميع دون النظر إلى الانتماء الديني أو التوجه السياسي.

****